GILBERT DELAHAYE - MARCEL MARLIER



# تولين
## في بلاد الحكايات

RABIE

casterman

GILBERT DELAHAYE
MARCEL MARLIER

# تولين
## في بلاد الحكايات

جيلبير دولاهاي
مرسيل مرليه

نقلها إلى العربية
سهيل مقل




casterman



اِقْتَرَحَ طبّوشٌ على تولينَ وهو يَتَنَطَّطُ بَهجاً فوقَ السَّريرِ :

– هَيَّا بِنا إلى نُزهَةٍ ! أجابَتْهُ تولينُ وقدْ أثقَلَ النُّعاسُ أجفانَها :

– لا رَيبَ أنَّكَ قد جُنِنْتَ حتَّى تخطُرَ ببالِكَ فِكرَةٌ كهذِهِ في مثلِ هذا الوَقتِ المُتأخِّرِ ، فالظُّلمَةُ آخِذَةٌ في الاشتِدادِ ، والمَطَرُ يَتساقَطُ غزيراً !

– أنا لم أتَحدَّثْ أبداً عن نُزْهَةٍ خارِجَ المَنزِلِ ، كُنْتُ أقصِدُ نُزهَةً داخِلَ صَفحاتِ كِتابِكَ الزَّاخِرِ بالحِكاياتِ والألوانِ .



يُحكَى في قديمِ الزَّمانِ أنَّ طائراً بَهيَّ المَنظَرِ ، حَسَنَ الصَّوتِ ، طَليقَ اللِّسانِ ، ذا حُلَّةٍ صَفراءَ مُوشّاةٍ ببَعضِ السَّوادِ .

ما إن فَقَسَ هذا الطَّائرُ بَيضتَهُ حتَّى أسمَتْهُ أُمُّهُ ( صُفرايَةَ ) ، فراحَ يملأُ الفَضاءَ شَدواً عَذْباً ، أطرَبَ سُكَّانَ الغابَةِ . بَيدَ أنَّ سوءَ طالِعِهِ قد أوقَعَهُ ضَحيَّةَ ساحِرَةٍ تَقْطُنُ مَنزِلاً عندَ طَرَفِ الغابَةِ . ولأنَّ هذهِ المرأةَ الشِّرِّيرَةَ لا تطرَبُ إلاَّ لنقيقِ الضَّفادِعِ ، فقد باتَ هذا الطَّائرُ الغِرِّيدُ مَصدَرَ إزعاجٍ دائمٍ لها .

ذاتَ يومٍ ، ولَمّا اشتَدَّ بِها الغَيْظُ ، رَمَتْهُ بَمسْحُوقٍ سِحرِيٍّ وهي تُرَدِّدُ :

( أحَلتُكَ صَبيّاً حتّى تَكُفَّ عَنِ التَّغريد .

اجمعْ ريشاتِ النَّارِ السَّبع لتعودَ عُصْفوراً من جديدٍ ) .

– أينَ أنا ؟ أنا أعرِفُ جيِّداً هذا البَلَدَ ! كلُّ الأشياءِ المُحيطَةِ بي ، قد سَبَقَ لي أن عاينتُها في كِتابيَ المُصَوَّرِ . لا رَيبَ أنّي أحلُمُ ، ولَدَيَّ إحساسٌ غَريبٌ بوجودي داخِلَ كِتابٍ ، فرائحَةُ الوَرَقِ والحِبْرِ تَنْتَشِرُ حَولي ، لو رافَقَني طبّوشٌ ، لكانَ قد آنَسَ وَحدَتي .



– ماذا يجري ؟ على اليَمينِ ثَمَّةَ مَنْ يبكي ... وراحَتْ تولينُ تُمعِنُ النَّظَرَ ، ثمَّ قالَتْ : أنا أعرِفُ هذا الصَّبِيَّ ! سوفَ أقفِزُ سريعاً إلى الصَّفحَةِ التَّالِيَةِ ، واحد ، اثنان ، ثلاثة ، هوب .. !



– لا تبكِ أيُّها الصَّبيُّ الصَّغيرُ ، لا تبكِ أيُّها العُصفُورُ الصَّغيرُ !

– من أنتِ ؟

– أنا تولينُ ، وأمَّا أنتَ فاسْمُكَ ( صُفرايَةُ ) . لقد قَرأتُ هذا الكِتابَ الَّذي يَروي قِصَّتَكَ ، وأعلَمُ أنَّكَ تُفتِّشُ عن ريشاتِ النَّارِ الَّتي تُحرِّرُكَ مِنَ السِّحرِ . لئن تعاوَنَّا في البَحثِ عنها ، لسَهُلَ العُثُور عليها .

وفيما الطِّفلانِ يَتحادَثانِ وَصَلا إلى غابَةٍ شَديدَةِ الظُّلمَةِ .

قالَتْ تولينُ : أنا أرثي لحالِكَ يا صُفرايَةُ ، لأنَّكَ بَطَلُ حِكايَةٍ من أشَدِّ الحِكاياتِ غَرابَةً ، لَعَلَّ مَنْ أَلَّفَها بِهِ شيءٌ مِنَ الجُنونِ ، ثمَّ تساءَلَتْ : أرأيْتَ كمْ هي عَجيبَةٌ حَيَواناتُ هذهِ الغابَةِ ؟ فتساءَلَ الصَّبِيُّ بدَورِهِ : وما الَّذي يُمَيِّزُها عن غَيرِها مِنَ الحَيَواناتِ ؟ أهي مُختَلِفَةٌ في عالَمِكُم ؟

– حَيَواناتُنا أكثَرُ .. بل أقلُّ .. الحَيَواناتُ هُنا لا تقِلُّ شأناً عن حَيَواناتِنا . انظُرْ إلى القارِنِ الحِصانِ الخُرافِيِّ الَّذي لَهُ قَرنٌ وَسطَ جَبينِهِ ، فأنا لم أشاهِدْ مِنْ قَبْلُ قارِناً حَقيقيّاً ، سوفَ أُخْبِرُ طبّوشاً عنهُ .

– تقولينَ طبّوشاً ؟ صِفيهِ لي . أجابتْ تولينُ : إنَّهُ مَخلوقٌ أُسطورِيٌّ يعيشُ في عالَمِنا .

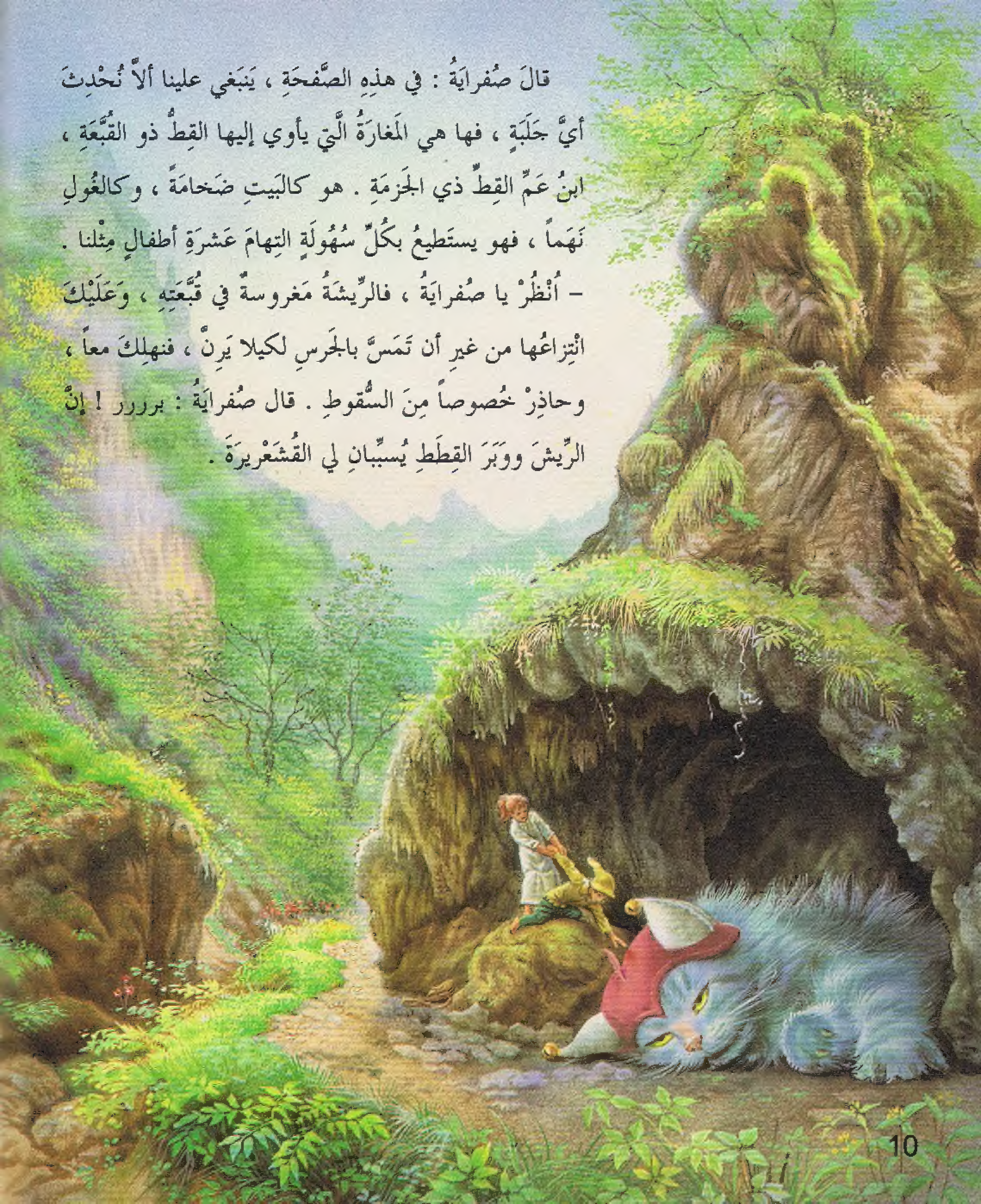


قالَتْ تولينُ للصَّبيِّ : التَزِمِ الحَذَرَ ، فها هي ذي المِحْنَةُ الأولى . علينا أن نعبُرَ على الشَّجَرَةِ هذهِ الهُوَّةَ السَّحيقَةَ من غيرِ أن يختَلَّ توازُنُنا ، فالرِّيشَةُ الأولى على طَرَفِ الغُصنِ .

– أنا ما زِلتُ أتساءَلُ ، تُرى ماذا يوجَدُ في قَعْرِ هذا الوادي ؟

قاطَعَتْهُ تولينُ مُتَسائِلَةً قَلِقَةً : أهو عَميقٌ جِدّاً ؟

– من يدري فالرَّسَّامُ لم يرسُمْ ما يوحي بأيِّ شيءٍ ! قالَتْ تولينُ وهي تسيرُ بتُؤَدَةٍ فوقَ الشَّجَرَةِ : وهذا ما يزيدُني قَلَقاً ، لكن لا بأسَ ، فنحنُ على قابِ قَوسَينِ مِنَ الرِّيشَةِ الأولى ... أخيراً ، لقد ظفِرنا بها !



قالَ صُفرايَةُ : في هذهِ الصَّفحَةِ ، يَنبَغي علينا ألاَّ نُحدِثَ أيَّ جلَبَةٍ ، فها هي المَغارَةُ الَّتي يأوي إليها القِطُّ ذو القُبَّعَةِ ، ابنُ عَمِّ القِطِّ ذي الحَزمَةِ . هو كالبَيتِ ضَخامَةً ، وكالغُولِ نَهَماً ، فهو يستَطيعُ بكُلِّ سُهُولَةٍ التِهامَ عَشرَةِ أطفالٍ مِثْلنا .

- أُنْظُرْ يا صُفرايَةُ ، فالرِّيشَةُ مَغروسةٌ في قُبَّعَتِهِ ، وَعَلَيْكَ انْتِزاعُها من غيرِ أن تَمَسَّ بالجَرَسِ لكيلا يَرِنَّ ، فنهلِكَ معاً ، وحاذِرْ خُصوصاً مِنَ السُّقوطِ . قال صُفرايَةُ : بررررر ! إنَّ الرِّيشَ ووَبَرَ القِطَطِ يُسبِّبانِ لي القُشَعْريرَةَ .

قالَ صُفرايَةُ : وأمَّا هَهُنا ، فالزُّرقَةُ هي السَّائدَةُ : الأشجارُ ، والعُشبُ ، بَلِ الطَّبيعَةُ كُلُّها مُتَّشِحَةٌ باللَّونِ الأزرَقِ ... تُرى ما سَبَبُ ذَلِكَ ؟ وأمَّا الحَيَواناتُ فقد زَرِقَتْ هي الأُخْرى لتَغدُوَ غيرَ مَرئيَّةٍ ، فثَمَّةَ حَيَوانٌ مُفتَرِسٌ يكمُنُ في مَكانٍ ما للإيقاعِ بفَريسَتِهِ ... إنَّهُ الذِّئبُ الأزرَقُ . قالَتْ تولينُ ، وقد اعتَراها الخَوفُ فجأةً : الذِّئبُ ؟! هذا صَحيحٌ ، لقد تَذَكَّرْتُ .. لَنختَبِئْ سَريعاً خَلفَ الأغصانِ ، لكنَّني أتَمَنَّى ألاَّ يَتَسَبَّبَ هذا الأزرَقُ بتَلويثِ ملابِسِنا .

– أرى أَنْ لا داعيَ لإضاعَةِ الوَقتِ سُدىً ، فلا توجَدُ ريشَةٌ في هذِهِ الصَّفحَةِ ، لِنُفَتِّشْ عنها في مَكانٍ آخَرَ !





قالَتْ تولينُ : هذا القَصْرُ يُشْبِهُ القُصورَ الَّتي أَراها في أَحْلامي !

قالَتِ الأميرَةُ للطِّفلَيْنِ وقد شَحُبَ وَجهُها :

– أتبحَثانِ عن ريشَةِ النّارِ ؟ يستَحيلُ عليكُما الحُصولُ عليها ، لأنَّها لا تُبارِحُ أبداً رأسَ الجِنِّيَّةِ ، فهي تُزَيِّنُ بها شعرَها . أعتَقِدُ أنَّها لن تَتَخَلّى عَنها ، لا بل قد تُحيلُكُما عَظايَةً أو عَنكبوتاً ، إلاَّ إذا اسـتَطعْتُ اسْتِدْراجَها لتقِفَ أمامَ النّافِذَةِ ، وسوفَ أحاوِلُ أن أشغُلَها ، عَلَّكُما تُفلِحان في اختِطافِ الرِّيشَةِ ...

وأمّا الآنَ ، فها نحنُ قد وَصَلْنا إلى صَفحَةِ العِملاقِ ذي المِفتاحِ الذَّهبيِّ . قالتْ تولينُ : يبدو وكأنَّهُ نَهِمٌ خَطيرٌ ، فقالَ لها صُفرايَةُ : أبداً ، وسوفَ أُفضي لَكِ بسِرٍّ ، هو يَتظاهَرُ بأنَّهُ شِرّيرٌ ، لكنَّهُ في الحَقيقَةِ رَفيقٌ طَيِّبٌ . أحياناً ، وعِندَما يُطوى الكِتابُ ، كُنّا نَلعَبُ مَعاً لُعبَةَ الاختِباءِ ، كانَ يُضحِكُني كَثيراً ، لأنَّهُ ، ومن فَرْطِ ضَخامَتِهِ ، لا يستطيعُ إخفاءَ قامَتِهِ كُلِّها .



نادى صُفرايَةُ العِمْلاقَ ، ثُمَّ قالَ : اِستَيقِظْ يا رَفيقي ، وافتَحْ لنا البابَ ، فما كانَ مِنَ العِمْلاقِ إلاَّ أن أطلَقَ زَمْجرَةً اهتَزَّتْ مِنْ جَرّائِها أرجاءُ البَيتِ ، وقد جَحَظَتْ عَيناه ، فقالَ لهُ صُفرايَةُ :

- لا تَجزَعْ يا رَفيقي ، فالفَتاةُ هذِهِ صَديقَتي .



صاحَ صُفرايَةُ : إِحْمِلْنَني أَيَّتُها الجِنِّياتُ المُجَنَّحاتُ الصَّغيراتُ ، واذهَبْنَ بي صُعُداً ، فأنا أراها على قِمَّةِ هَذِهِ الشَجَرَةِ . ثمَّ صَرَخَ مُغتَبِطاً : الرِّيشَةُ الرَّابِعَةُ باتَتْ في حوزَتي ! قالَتْ تولينُ للجِنِّياتِ الطَّيِّباتِ : أنتُنَّ في غايَةِ اللُّطْفِ ، فقد أسدَيْتُنَّ لنا خِدمَةً عَظيمَةً ، لَئِنْ أَتَيتُنَّ لِزِيارَتي ، لأعدَدْتُ لكُنَّ قالباً كبيراً مِنَ الحَلوى . عندئذٍ ضَحِكَت الجِنِّياتُ الصَّغيراتُ وقُلنَ لها : نحنُ لا نأكُلُ الحَلوى ، لأنَّنا لا نَتَقَوَّتُ إلَّا بِرَحيقِ الأزهارِ . إذا أذِنتِ لنا ، لرُبَّما نأتي في إحدى ليالي الصَّيفِ إلى حَديقَتِكِ ، لنتَذَوَّقَ رَحيقَ أزهارِكِ ، وشُكْراً على دَعوَتِكِ !



ها نحنُ الآنَ نُحطُّ رِحالَنا في مَمْلَكَةِ التِّنّينِ . ما بَرِحَ هذا الوَحْشُ الهائلُ ينفثُ اللَّهَبَ من جوفِهِ ، مُحْدِثاً حُفَراً في الأرضِ ، وقد ينتهي بِهِ المَطافُ إلى إحراقِ الكِتابِ ! قالَتْ تولينُ : لو كُنْتُ أمَّهُ ، لَمنعْتُهُ مِنَ العَبَثِ بأعوادِ الثِّقابِ !

قالَ صُفرايَةُ : هي ذي الرِّيشَةُ الخامِسَةُ تَحتَ تِلكَ الحَجَرَةِ المُحتَرِقَةِ ، لنأخُذْها بِسُرْعَةٍ حتَّى نَنْجُوَ بأنفُسِنا !

قالَتْ تولينٌ : هذهِ الحِكايَةُ غايَةٌ في الجُنونِ ! لقد هَرَبْنا من نيرانِ التِّنِّينِ لنَغوصَ بَعدَها في أعماقِ المُحيطِ .



– لِنَغْطُسْ معاً يا تولينُ ، فالرِّيشَةُ السَّادِسَةُ في القَعْرِ ، داخِلَ الصَّدَفَةِ الكَبيرَةِ . أرأيْتِ ذاكَ الشاطِئَ البَعيدَ ذا الرِّمالِ البيضِ وأشجارِ النَّخيلِ الباسِقَةِ ؟

إنَّها جَزيرَةُ الكَنْزِ ، حَيثُ أرسى قَراصِنَةُ البُحُورِ السبْعَةِ سَفينَتَهُم ، لِتَخبِئَةِ صَناديقِهِم الملآنَةِ بالنَّفائسِ مِنَ الأحجارِ الكَريمَةِ ، والأقمِشَةِ الثَّمينَةِ ، والتُّحَفِ الذَّهبِيَّةِ ..



قالَتْ تولينُ : تَبّاً ، فالرِّيشَةُ السَّابِعَةُ ليسَتْ في مَكانِها !

رَدَّ عليها صُفرايَةُ مُحبَطاً : لقد ضاعَ كُلُّ شيءٍ هَباءً ، فأنا لن أعودَ أبداً ذاكَ العُصفورَ السَّعيدَ !

– لا تَقنَطْ ، ولا تَدَعِ اليأسَ يَتمَلَّكُكَ ! لا رَيبَ أنَّ السَّاحِرَةَ قد خَدَعَتْنا ، فالرِّيشَةُ ما تزالُ عِندَها ، ولا بُدَّ مِنَ الحُصُولِ عليها ، ولهذا الغَرَضِ فقد أعدَدْتُ خُطَّةً . لِنَبْدأْ أوَّلاً بجمعِ الأصدقاءِ .



وارتَفَعَ صَوتُ تولينَ : لِتَخرُجي فوراً أيَّتُها السَّاحِرَةُ ، فها هو صُفرايَةُ قد عادَ بالرِّيشاتِ السَّبْعِ ! صَرَخَتِ السَّاحِرَةُ الماكِرَةُ : هذا مُحالٌ ، فأنتِ تكذِبينَ ، هو لن يستَطيعَ البَتَّةَ جَمْعَها كُلَّها ، لأنَّ الرِّيشَةَ السَّابِعَةَ ما بَرِحَتْ في حَوْزَتي . أُنْظُري ، فها هي ذي في يدي !

عندئذٍ ، وبأسرَعَ مِنْ وَميضِ البَرْقِ ، اختَطَفَتِ الجِنِّيَّةُ المُجَنَّحَةُ الرِّيشَةَ مِنْ يَدِ السَّاحِرَةِ ، فيما انقَضَّ عليها العِملاقُ الطَّيِّبُ لِيَبتَلِعَها وقُبَّعَتَها دُفعَةً واحِدَةً .

قالَ العِملاقُ وهو يلفِظُ المِكْنَسةَ مِنْ جَوْفِهِ : طَعْمُ السَّاحِرَةِ كَرِيهٌ جِدّاً ! صاحَتْ تولينُ بفَرَحٍ عَظيمٍ : أحسَنْتَ أيُّها العِملاقُ الطَّيِّبُ ! مَرحى أيَّتُها الجِنِّيَّةُ الصَّغيرَةُ ، لولاكُما ما استَطَعْنا جَمْعَ الرِّيشاتِ السَّبْعِ ! سوفَ يعودُ صُفرايَةُ عُصفُوراً . ثُمَّ أضافَتْ قائِلَةً للعِملاقِ : لا بُدَّ لي من تَقبيلِكَ تعبيراً عن شُكْري ، وعِرْفانا بالجَميلِ . دونَ تَرَدُّدٍ ،خَلَعَ العِملاقُ قُبَّعَتَهُ وانحَنى لها .

لَمَّا طَبَعَتْ تولينُ على خَدِّهِ قُبلَةً رَقيقَةً ، احمَرَّ وَجْهُهُ خَجَلاً كَفَتاةٍ صَغيرَةٍ .





قالَ صُفرايَةُ : أخيراً سأستَرجِعُ طَبيعَتِي الَّتي سُلِبَتْ مِنّي غَدْراً ، فأنا سأعودُ عُصفُوراً كما كُنْتُ ، يا للنِّهايَةِ السَّعيدَةِ . كم أشتاقُ إلى جَناحَيَّ ، لأنطَلِقَ بِهما إلى الأعالي ، وأنا أُغَرِّدُ وأشدو . أنا أشكُرُكُم جميعاً لأنَّكُم ... لكن لم يَتَسَنَّ لهُ أن يُتمَّ عِبارَتَهُ لأنَّ السِّحْرَ قد زالَ عَنهُ . وأمامَ عَينَيْ تولينَ طارَ صُفرايَةُ وارتَفَعَ في الهواءِ ، فصاحَتْ وقد سَحَرَها مَنظَرُهُ : طِرْ وارتفِعْ عالياً ! لقد نَجَحْنا !

وعلى صباحِ تولينَ استفاقَ طبّوشٌ ، فقفَزَ إلى سَريرِها ليُلقِيَ عليها تَحيَّةَ الصَّباحِ ، فقالَتْ لَهُ : لو تعلَمُ يا طبّوشُ ، لقد كُنْتُ في كتابٍ مَعَ العُصفُورِ صُفرايَةَ ! ما أجمَلَ الكُتُبَ ، وما أعظَمَ فائدَتَها . عندما نعرِفُ القِراءَةَ ، نستطيعُ القيامَ بأسفارٍ مُذهِلَةٍ ، نَتعَرَّفُ من خِلالها أصدقاءَ كُثُراً ، ونعيشُ مُغامَراتٍ تكادُ لا تَنتَهي ! قالَ لها وهو يَتفَرَّسُ فيها : في المَرَّةِ القادِمَةِ ، سوفَ أذهَبُ مَعَكِ ، ألا تَصحَبينَني ؟

– أتريدُ مُرافَقَتي في أحلامي ؟

– بالطَّبعِ لا ، فأنا أُريدُ الذَّهابَ مَعَكِ إلى المَدرَسَةِ لأتَعَلَّمَ القِراءَةَ !



www.rabie-pub.com
Published by Rabie Publishing House Syria , Aleppo
P.O.Box : 7381 Tel : +963 21 2640151 Fax : 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com
In cooperation with CASTERMAN , Belgium .
ISBN 2-203-10150-4 ISSN 0750-0580






① CM1-50
ISBN 2-203-10150-4
6 214001 440503